المعجم العربي بالأندلس

للأستاذ عبد العلي الودغيري

منشورات : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرباط/ط 1984
160 صفحة ــ بالحجم المتوسط (طباعة واضحة وتجليد أنيق)

تقديم :
مساعد عبد الله مساعد

يقع الكتاب في خمسة مباحث ــ وهو في أصله بحث تقدم به المؤلف لنيل دبلوم الدراسات العليا ، والتي نوقشت في الشهر الأول من سنة 1976 ــ وهي :

1 ــ في اتجاه العين
2 ــ في اتجاه الألفباء
3 ــ في اتجاه المعاني
4 ــ في اتجاه خاص
5 ــ نحو معجم متخصص .

تناول المؤلف في مبحثه الأول : (معجم العين للخليل) حيث عرفه الأندلسيون الذين رحلوا إلى المشرق العربي في طلب العلم قبل القرن الرابع الهجري ، وذكر ذلك أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت 379هـ) .

وفي صفحة (20) تحدث عن كتاب (البارع في اللغة) لأبي علي القالي ، من حيث تأليفه ، ومنهجه الذي استمده من معجم الخليل (العين) حيث ترسّم خطّى : نظام الترتيب على مخارج الحروف الصوتية ، ونظام الأبنية ، ونظام التقاليب . كما تعرض لبعض خصائص كتاب (البارع في اللغة) التي أوجزها في خمس مميزات ، هي :

1) اكثاره من النقل عن كبار اللغويين .
2) اعتناؤه بضبط المواد عن طريق التنصيص بالعبارة .
3) اعتناؤه بلغات القبائل العربية ولهجاتها من جهة ، وبالعامي والفصيح من اللفظ من جهة ثانية . 4) اعتناؤه بالمعرب من الألفاظ ، وما هو دخيل وأعجمي . 5) ميله إلى الاستقصاء والاستيعاب ، وقد شهد بذلك كل علماء الأندلس الذين رأوا الكتاب كاملاً ، أو نقلوا عنه ، أو سمعوا به . وهذا ما جاء على لسان الزبيدي .

وفي الصفحات الأخرى من المبحث الأول ، تحدث عن : ما دار حول البارع ، من روايات ونقل وتآليف . ثم أعقبه باستدراك على كتاب البارع ، وما دار حول العين والبارع معاً . كما تعرّض بالدراسة إلى المعاجم التي حذت حذو العين ، مثل : (كتاب المحكم) لأبي الحسن ابن سيدة المرسي (ت 458هـ) . و(تلخيص المحكم) لأبي بكر (أو أبي عبد الله) محمد بن إبراهيم الرعيني (ت 620هـ) . و(تلخيص المحكم) لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد العنسي (من علماء القرن السابع) . و(رد على محكم ابن سيدة) لأبي الحكم عبد الرحمن بن برجان (ت 627هـ) . و(المبرِّز في اللغة) لأبي عبد الله محمد بن يونس الحجازي (ت 462هـ) .

وفي مبحثه الثاني : تحدث عن منهج الترتيب الألفبائي ، الذي عوّض النظام الصوتي . وقد أخذت به بعض المعاجم التالية : (كتاب الجيم) لأبي عمرو الشيباني

(ت 213هـ) و(جمهرة اللغة) لابن دريد (ت 321هـ). و(المجمل) و(المقاييس) لأحمد بن فارس (ت 395هـ). و(ديوان الأدب) للفارابي (ت 370هـ). و(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت 400هـ) و(العباب) للصاغاني (ت 650هـ). و(لسان العرب) لابن منظور (ت 711هـ). و(القاموس المحيط) للفيروزأبادي (ت 818هـ).

كما تحدث عن (المُوعَب) لأبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التَّيَّاني (ت 436هـ). وفيه، عمد المؤلف إلى تصحيح خطأ وقع فيه كثير من دارسي المعجم العربي، بأن عدّوه معجماً مؤلفاً على طريقة العين. واعتمد المؤلف في تصحيح الخطأ، على ما ذكره الأب انستاس الكرملي في مجلته (لغة العرب) (المجلد 4، ج 1، تموز 1914) تحت عنوان (الموعب معجم بديع فُقِدَ فَوُجِدَ) وقد جاء بذلك الدكتور عبد الجبار جعفر القزاز، في كتابه (الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين).

وفي مبحثه الثالث أورد ما يقصده بعض الدارسين، **بمعاجم المعاني في العربية**، في مقابل **معاجم الألفاظ**. ومنها: 1) كتاب السماء والعالم: لأبي عبد الله محمد ابن أبان بن سيِّد (يقال أنه ت 354هـ)، كما أن جماعة منهم نسبته لأخيه أحمد بن أبان بن سيد (ت 382هـ) وكذلك لآخرين. و2) المخصص لابن سيده.

وأفرد المبحث الرابع (في اتجاه خاص) الحديث عن كتاب (المسلسل في غريب لغة العرب) لأبي طاهر محمد ابن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي (ت 538هـ) حيث انفرد بطريقته في عدم اخضاع مفردات اللغة لأي ترتيب سوَى ما يدعو إليه (التسلسل) بين معاني الألفاظ أو (التشاجر) و(التداخل) الذي يعني أن يجر ذكر الكلمة الأولى إلى ذكر الثانية، والثانية إلى الثالثة، والثالثة إلى الرابعة ... وهكذا تنتظم الألفاظ في سلسلة متشابكة، متشاجرة يأخذ بعضها بعنق بعض. ويذكر المؤلف أن هذا الكتاب يكوّن — مع كتابين آخرين عُرِفا بالمشرق العربي — حلقة أو قل صورة جديدة من صور تدوين اللغة وترتيبها. هما: (كتاب المُداخل) لأبي عمر المطرِّز (ت 345هـ)، المعروف بغلام ثعلب. وكتاب (شجر الدر) لأبي الطيب اللغوي (ت 351هـ).

وفي مبحثه الخامس والأخير (نحو معجم متخصص) تحدث عن اسهامات الأندلسيين في تطوير أنواع المعاجم، بصفة عامة، ثم ركز حديثه، بصفة خاصة، عن ثلاثة أصناف، هي: 1) معاجم الأبنية والصيغ، وصنفها إلى قسمين: خاص بالأفعال وخاص بالأسماء. 2) نحو معاجم الغَرِيبَيْن: وهي المدونات اللغوية المتخصصة في ألفاظ القرآن والحديث، ولاسيما الغريب منها، فتورده على ترتيب معين، يكون ألفبائياً أو حسب السور القرآنية ومواضيع السنة النبوية وأبوابها، وتشرحه شرحاً لغوياً ممزوجاً بالأخبار الأدبية والشواهد الشعرية، أحياناً. 3) نحو معاجم للطب والصيدلة: وأهم تصنيف يستحق — في نظره — صفة معجم، هو: كتاب (الجامع) لأبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي العشاب، المعروف بابن البيطار (ت 446هـ). وتضمن سائر أقوال السابقين من عرب، ويونان وغيرهم.

وفي خاتمة بحثه، يذكر غايته من هذا البحث، وهي إبراز جانب من النشاط اللغوي الذي عرفه الأندلس، والمتمثل في التأليف المعجمي للغة العربية، والتي بدأت في القرن الرابع الهجري، وتمثلت في خمسة اتجاهات أو أنماط، كان أبرزها وأقواها تأثيراً وأسبقها وجوداً بشبه الجزيرة الايبيرية، في مرحلتها الاسلامية، هو الاتجاه الذي تمحور في معجم (العين) للخليل بن أحمد. ويفصح المؤلف عن هدفه، من دراسته لكتاب (المسلسل في اللغة) لأبي طاهر التميمي، تنويهاً بقيمته المعجمية، فإذا ما أُعيد ترتيب مواده وفق الطرق الحديثة في صناعة القواميس، لكان إضافة عظيمة لرصيدنا في هذا الميدان. ويدعو في خاتمته أيضاً إلى إعادة ترتيب كل المدونات اللغوية التي لم ترق إلى طور المعجم، وذلك لمواجهة عصر المصطلح الذي نعيشه.

ثم أفرد صفحات لكتاب (استدراك الغلط الواقع في كتاب (العين) لأبي بكر الزبيدي (ت 339هـ) تعريفاً به وتحقيقاً لمقدمته . كما أورد في نهاية بحثه ، قائمة بالمصادر والمراجع التي أعانته في بحثه .

ولفت نظري أنه لم يرد ذلك بمسرد للأعلام وأسماء الكتب التي ذكرها في بحثه ، مما يعتبر اغناء وإثراء يساعد الباحثين والدارسين في الاستفادة مما ورد فيه من أعلام ومعاجم ، وهذا ما بدأت تنهجه كتب المؤلفين المعاصرين .

وفي اعتقادي ، فإن الكتاب يُعدُّ اسهاماً طيباً ، وجهداً مشكوراً ، يضاف إلى المكتبة العربية ، خاصة في مجال الدراسات المعجمية ، التي ماتزال دراسات وصفية تقريرية ، لا تخرج ولا تغادر هذا الحيز .

*